

البعث رمزاً لمعاناة الأمة

أيها الرفاق المناضلون^(١)

يا أبناء أمتنا العربية المجيدة

كان البعث ولا يزال، رمزاً لمعاناة الأمة، فهو حامل الهمّ العربي في هذا الطور المتميز من نهضة العرب الحديثة وكان في رحلته النضالية الشاقة الطويلة، ينطلق من الايمان والثقة بالامة، وانها تجتاز مرحلة أنبعث، اي انها تبني نفسها من جديد، ومعنى ذلك ان وعينا وإرادتنا عنصران مهمان في تكوينها الجديد. واننا بمقدار ما نكون أحراراً في صنع كياننا القومي ومصيرنا المشترك بمقدار ما نكون أمناء لاصالة امتنا، لان الاصالة هي وحدها التي تقدر على تحقيق الانبعث والتجدد السليم.

وكان البعث يدرك ان قوميتنا ليست رجوعاً الى التاريخ، بل هي تطلع الى المستقبل من خلال مشاكل الحاضر، وان التاريخ يلقي ضوءاً على طريقنا، ولكنه ليس قيلاً لنا ولا حتمية مفروضة علينا وان مستقبلنا أمامنا لا وراءنا. فقد كانت المسألة منذ البدء، كيف تتكون حركة عربية ثورية وتبقى مالكة إرادتها، مهيمنة على نفسها، تلتزم الصدق مع النفس ومع الشعب في كل الظروف والاقوات وتمتلك رحابة في الصدر مستمدة من رحابة الارض العربية.

وكان لنشأة البعث أوائل الاربعينات، معنى الولادة لمرحلة تفتتح عبرها آفاق التفاعل الحربيين المناضلين العرب في شتى أرجاء الوطن الكبير، وتتنظم فيها إرادة

(١) كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٨٣، لمناسبة الذكرى السادسة والثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.

النضال المصيري الموحد، فقد كان البعث لكل العرب في المشرق والمغرب، وكان أحرار اليمن وقيادات الحركة الوطنية في السودان، ومناضلو المغرب وتونس والجزائر، يحملون اليه هموم نضالهم، ويعبرون عن ايمانهم بوحدة الامة العربية، وكان شباب البعث، وهم اذ ذاك بضع مئات في جامعة دمشق ومدارسها، يملأون الدنيا نشاطا فكريا وحركة نضالية تدعو الى وحدة النضال العربي وتنتظر انتصاراً لهذا القطر العربي اوذاك.

وفي مثل هذا الشهر، قبل خمس وثلاثين سنة كان شباب البعث، يتوجهون الى فلسطين ويلتقون مع اخوتهم المجاهدين الفلسطينيين والمتطوعين العراقيين والمصريين، وكانت روح العروبة ترفرف عليهم، وهم يتعارفون ويتحاورون ويتحدون في النضال، على اختلاف بلدانهم واحزابهم.

أربعون عاما مضت، والبعث يؤكد خلالها حضوره الفكري والنضالي في مسيرة الكفاح القومي، ويزداد قربا من ضمير الامة وروح الشعب، ويزداد ثقة بأصالة دوره وصدق تمثيله للمبادئ والاهداف التي نذر نفسه لها.

وتتجدد المناسبة، في كل عام، لكي يطرح على نفسه من جديد، ومن خلال الاحداث والظروف المستجدة، الاسئلة ذاتها التي تزدهم وتدافع في صدر المناضلين، تبحث عن أجوبة مقنعة تبدد الظلام المنتشر، وتزيل الشكوك والحيرة من طريق الانبعاث والنهضة.

أيها البعثيون المناضلون

ان ذكرى الماضي لاتستعاد الا لان بالزمن الحاضر حاجة الى أستنطاقها، فماضيها، سواء ماضي الحزب او ماضي الامة يكتبه الحاضر كل يوم كتابة جديدة مختلفة، فالمناضلون الذين يرون الحياة جهاداً ورسالة وعطاء وتضحية وبطولة يكتبون تاريخ الامة بالعرق والدم، في حين ان أعداء الامة والنهضة والبعث وصنائعهم يكتبونه كتابة مزورة ويسعون بكل وسائل العلم الحديث واساليب التضليل والتخدير لتشويه تاريخنا القومي وتاريخ حزبنا المناضل، لكي يسحبوا من عقول الاجيال العربية الجديدة، ونفوسها ثقتها بأمته وأصالة هذه الامة، ورسالتها

ووحدها.

فالبعث يتخذ من هذا التذكّر الحي للماضي مناسبة للمراجعة والوقفه الصريحة مع النفس ومع الجماهير العربية، وللكشف عن أبعاد التآمر على النهضة العربية وأجيالها المؤمنة بحتمية أنتصار القضية العربية ولاسيما في ظل الظروف القومية الراهنة حيث تقف الامة ومستقبلها على مفترق طرق.

فالانظمة الممثلة للعجز والتردي، تريد وتسعى لكي تكون المرحلة المقبلة مرحلة تصفية للقضية الفلسطينية، ولكل أمل في تحقيق الوحدة العربية فهي ترضى بأن تبقى كيانات ثانوية تحت السيطرة المباشرة او غير المباشرة لـ «اسرائيل» والامبريالية في الوقت الذي يطرح فيه ضمير الامة، وتهتف أرواح ألوف الشهداء العرب، من عليائها، غاضبة مستنكرة، وهي تلهم المناضلين الصبر والثبات فالجماهير العربية والفئات الثورية التي تجسّد ايمان هذه الجماهير وصدورها وإرادة النضال والبقاء والتقدم عندها، تعتبر المرحلة الجديدة مرحلة الوضوح والجد والتضحية، وتعتبر ان قضية فلسطين أخذت ابتداء من الآن، وبعد الامتحان العسير الذي أجتازته المقاومة وصدت فيه صموداً بطولياً، طريق القوة والحياة والثورة، كما ان القضية القومية بعد مفاجأة العروبة الجديدة لنفسها على الجناح الشرقي للوطن العربي ومن خلال ثورة العراق وانتصارها على المؤامرات المتعددة الاطراف، وما بثته من روح جديدة وما فجرته من طاقات خارقة، قد أرتفعت الى مستوى جديد وأفتتحت عهداً جديداً من البطولة.

صحيح ان النضال العربي في هذه المرحلة لم يبلغ النضج الكافي من حيث درجة الايمان بالعلم والعقلانية وبالتالي الديمقراطية والتمسك بالقيم الاخلاقية في العمل السياسي . . ولكن هذا لايعني ان النضال العربي لم يسر في طريقه نحو أستكمال تلك الشروط .

فقد مرت على الامة العربية . . في نضالها المعاصر تجارب قاسية كفيلة بأنضاج المستوى الطموح لمواجهة المستقبل بخبرات غنية وبثقة أكبر بالنفس . فبعد سلسلة النكسات القومية، بدأت بالانفصال وتضييع الوحدة، ونكسة ٢٣ شباط وضياع القطر

السوري مع دوره القومي الخطير، ونكسة الخامس من حزيران وضياع الجولان والباقي من فلسطين. . بعد هذه النكبات والدروس القاسية كان لابد للتجربة النضالية العربية ان تغتني، وان تتجلى ملامح النضج داخل كل تجربة ثورية عربية وان تتمثل في تجربة البعث في العراق وفي المقاومة الفلسطينية المستويات المتقدمة لهذا النضج حيث طبيعة التعامل الداخلي وطريقة عملها ونضالها العام، باتت تعبر عن المزيد من الحرص على الوحدة الداخلية وعلى الفهم الاعمق للأخطار الخارجية وللمسؤولية القومية.

فالحزب، وهو يقدر خطورة الظرف الذي تمر به الأمة العربية، ويجد فيه ما يستدعي التنبه والحذر، فإنه لا يشعر بالهلع ولا يخالجه يأس، لا من نفسه ولا من ابناء شعبه وأمته. ان مظاهر الترددي كثيرة في طول الوطن العربي وعرضه، ولكن يكفي ان نشير الى الشعل المضيئة، والى مواطن العافية في الجسم العربي، لكي ينتعش الامل وتتعزيز الثقة بالأمة وبمستقبلها.

فهذا العراق يخوض حرباً مفروضة عليه، منذ ما يقارب الثلاث سنوات، ولكنه بالوعي والبطولة والتضحية أستطاع ان يعطيها معظم سمات النهضة العربية الحديثة، فهي حرب حضارية لصد عقلية التخلف والهمجية، وحرب للدفاع عن شخصية الأمة العربية ووحدتها، ودورها القيادي، وحرب وطنية لصد الاطماع التوسعية عن العراق والحفاظ على نهضته وطريقها ومكتسباتها.

وهذه المقاومة الفلسطينية، صمدت وجاهدت، وخرجت مرفوعة الرأس من معركة لم يتوافر فيها الحد الأدنى من التكافؤ مع قوة العدو. وهذا شعب مصر بعد سقوط السادات يتطلع الى عملية التصحيح ليضع مصر على طريق التماثل للشفاء، والخروج من المحنة، سالمة الكرامة، راسخة العروبة غنية التجربة.

وهذه الجزائر بلد الثورة الجبارة والمليون شهيد تثبت استقلالها، ويزداد اهتمامها بقضايا أمتها وتعطي بذلك البرهان على النضج والحيوية في آن معا.

وها هو لبنان والملحمة الخالدة لصمود بيروت . . . بيروت التي أحتضنت المقاومة الفلسطينية وحفظت عهد فلسطين قد أرتفعت في نضالها وصمودها الى مستوى قضية فلسطين ، كما ان الثورة الفلسطينية بتفاعلها مع اجواء بيروت الفكرية وروح طبقاتها الشعبية قد أكتسبت ابعاداً جديدة وحيوية جديدة . وقد جاءت معركة بيروت جواباً غير مباشر على المحاولات العقيمة التي مورست عليها زمن التشويه الاستعماري وما بعده، لكي تتنازل عن عروبتهها مقابل الاعتراف لها بلبنانيتها وتقدميتها .

فقد أعطت بيروت للجميع دروساً بليغة في عروبة لبنان، وفي تقدمية العروبة، وخرجت بهذا الامتحان الجديد ظافرة متألقة تؤكد حقيقتها كعاصمة من عواصم العروبة الحديثة، العروبة المناضلة، العروبة الحرة المتحررة .

فالبعث وهو جزء من حياة الامة ونهضتها الحديثة، يشعر بالقوة تسري اليه من صمود المقاومة الفلسطينية، كما يشعر انه بنضاله القومي المتمثل في تجربة العراق الثورية، وفي نضال البعثيين في لبنان والسودان، وفي أقطار اخرى من الوطن العربي، يدعم الصمود وأمكانات النهوض والتحرر في مسيرة الثورة العربية كلها .

فاذا كان البعث لا يستخف بحجم التآمر عليه من القوى الشريرة وبخاصة في هذه الحرب التي يخوضها العراق بأسم المبادئ القومية، والمستقبل العربي، فان الحزب بالاستناد الى الصلة الحية العميقة التي تصله بضمير الامة وروح الشعب لا يخشى تلك القوى، رغم كثرتها لانها شتات سلبي لم يجتمع الا على الاحقاد وأغراض الهدم، بينما تمثل معركة العراق، إرادة البناء والتقدم والثورة في ضمير الامة والشعب، وقبل حين قريب خيل للاعداء ان مؤامراتهم، وحيلهم قد نجحت في أنتزاع مصر من جسد الامة، في أبعادها عن مصيرها العربي، واذا في فترة قصيرة نسبياً تصبح أرهاسات التصحيح في مصر هاجسا يقلق هؤلاء الاعداء على تباين منطلقاتهم، فالطبيعة لا بد ان تتغلب وتعود مصر حاملة حنينها وأصالتها العربية .

ولن يطول التآمر والتزوير الذي فَرَضَ على سورية العربية، ان تكون حليفاً وظهيراً لايران ضد العراق، ولا بد لنضال جماهير الشعب العربي في سورية ولتحالف

قواه الوطنية وللتضحيات التي قدمتها مدن سورية، ان تتكلم باقتلاع جذور الانحراف والطغيان وان يعود هذا القطر الى دوره القومي الذي تأمرت عليه الردة، وان يأخذ موقعه الايجابي في بناء المرحلة الجديدة الناضجة للعمل العربي المتجه الى الوحدة والى تجسيد روح النهضة العربية.

فنحن بنفس القوة التي نعلن بها ثقتنا بقدرة أمتنا على الصمود والتغلب على الهجمة الامبريالية الصهيونية الشرسة، فأنا نعلن ثقتنا بحزبنا وبقدرته على الصمود وتحقيق الانتصارات والاهداف القومية الكبرى.

يا أبناء شعبنا العربي

لقد وضع الحزب ثقله في تجربة العراق الثورية في وقت كانت فيه الامة تعاني نتائج الهزائم والخيانات والتراجعات المهينة، وكانت بأمس الحاجة الى ما يعيد اليها الثقة بالنفس والتفاؤل بالمستقبل، فعندما كانت سياسة الاستسلام للعدو، تهدد بان تفرض نفسها على كثير من الحكام، وعندما أنحرف حاكم مصر ذلك الانحراف الخطير الذي أخرج أكبر وأهم قطر عربي من ساحة الصراع مع العدو. وعندما كان الفساد يستشري في كثير من الانظمة العربية، كان لا بد للحزب ان يحاول محاولة واجبة وليست مشروعة حسب، ان يبني تجربة مختلفة نوعيا تسري فيها روح نهضوية تفجر المواهب وتشحذ الهمم.

وقد كشف العراق عن قوة من نوع جديد، أثارت مخاوف الكيان الصهيوني وحلفائه الاستعماريين، والقوى المعادية للقومية العربية وثورتها الحديثة، كما أثارت مخاوف بعض الانظمة العربية الحاكمة التي اوصلها حقدتها الى درجة الخيانة، فكانت الحرب المفروضة على العراق لضرب هذه القوة.

ولم يكن العراق بحاجة الى حرب ليتابع نهضته ولم تكن لديه مشاكل داخلية ليلهي الشعب عنها بالحرب، كما هي الحال في ايران، ولم يكن بين الشعب وقيادته انفصام او فجوة، بل ألتحام وأنسجام وحب متبادل، فرغبة العراق في السلم رغبة هادفة منسجمة مع مبادئه ومصالحته وواقعه، فحالة العراق حالة دفاعية أمام عدوان متعدد الجهات والاشكال والالوان، حالة الدفاع المشروع، كما هي حالة الامة

العربية في نهضتها الحديثة، تدافع وتصد الغزو والتآمر والتخريب والافتراء كل يوم، وفي كل ساحة من ساحات نضالها.

وكانت العروبة تخوض في الوقت نفسه، معركة اخرى ضارية، في لبنان ضد العدو الصهيوني، وثبتت المقاومة الفلسطينية، وتوقع هي وشعب لبنان العربي بالعدو خسائر هزته الى الاعماق وزعزعت كيانه المصطنع، وكنا نشعر ان المعركة واحدة، وان الصمود هنا يدعم الصمود هناك، ولئن نجح العدو الصهيوني في ان يختار لشن حربه على لبنان والمقاومة الفلسطينية، وقتاً وظرفاً يكون فيهما العراق مشغولاً بحربه مع ايران ويصد الهجمات الايرانية عن الحدود العراقية، فان ذلك لن يغير شيئاً من هذه الحقيقة، وهي ان نهضة العراق وصموده في وجه العدوان قوة للامة العربية، ولمعاركها مع أعدائها، ولولا ذلك لما اغتنم العدو الصهيوني فرصة الحرب ليضرب المفاعل النووي العراقي، ولما أمد ايران بال سلاح والخبرة، وما الاطالة المصطنعة المتعمدة لهذه الحرب، الاطالة التي يعمل لها الاعداء وبعض الاشقاء العرب، من الحاقدين، الا تعبيراً عن خوف الاعداء من العراق الناهض، وعن حقد الاشقاء الذين عجزوا عن ان يقدموا لشعبهم غير العجز والفساد والقتل والتنكيل.

أيها المناضلون العرب

لقد أنطلق البعث منذ البداية من التأكيد على ان القومية العربية هي الجوحدوي والمنطق الوجدوي، وشيء من قوة الوحدة حتى قبل ان تتحقق، وان القومية العربية هي السلم بين العرب، والقوة العربية في مواجهة الاعداء، وان السلم العربي قد يحمل السلم ايضاً الى الجيران الذين غرهم أنقسام العرب، فأطلقوا العنان لاطماعهم التوسعية فاساءوا الى أنفسهم بقدر اساءتهم الى العرب، فالقومية العربية هي السلم بين العرب لانها العدل بين العرب، أقطاراً وفئات وطوائف وأفراداً مواطنين. هي التقاء العرب بعضهم ببعض، هي تفهمهم بعضهم لبعض، رغم الاختلاف، بل بسبب الاختلاف، لان الاختلاف عندما يفهم ويقبل، يصبح مصدر قوة وثراء روحي وحضاري.

لم تمر فترة ذهبية على العرب شعروا فيها بقوميتهم الجامعة وبوحدة أمتهم

ومصيرهم، مثل تلك الفترة التي كانت فيها الامة العربية متحققة من خلال الثوار الذين كانوا يحملون السلاح ضد الاجنبي، لاضد أخوتهم واشقائهم، فعندما ينحرف النضال ويتردى الى حرب بين الاخوة، تنسحب الامة العربية الواحدة، وتحتجب لترفع العصيات الذميمة رأسها وتنفت سموها، وتنتشر أمراضها.

ففي عهود الاحتلال والاستعمار الاجنبي، كان حقنا كله ينصب على المستعمر الدخيل المتغطرس وحبنا كله يتوجه الى شعبنا وأبناء وطننا وأمتنا.

لم نعرف الحق بين الاخوة، وقد كان جو الوحدة الوطنية المقدس، يخيم على الجميع، عندما كانت تشتد المواجهة بين الشعب والمستعمرين، ولعل القطر السوري، قد عرف من هذه التجربة الثمينة الشيء الكثير، الى ان توج نضال أبنائه بجلاء المستعمر، وقد تميز جبل العرب وغوطة دمشق ومدينة حماة في ذلك النضال المجيد الذي شاركت فيه جميع المناطق السورية ولوان حكام دمشق اليوم كانوا من الجيل الذي عاصر تلك الاحداث، لربما كانوا تورعوا عن ضرب مدينة حماة وذبح أهلها والتمثيل بهم، ان هذا العامل الجوهرى، اي معاصرة الوجود الاستعماري بوطأته الثقيلة، ومواجهته بوحدة الشعب الوطنية، يفسر الى حد بعيد تميز فترة الخمسينات التي أعطت أمجد وأروع صفحات النضال الشعبي التحرري في طول البلاد العربية وعرضها فنضال القطر المغربي ضد الاستعمار الفرنسي، ثم القطر التونسي، ثم الثورة العملاقة في الجزائر والمقارعة العنيدة للاستعمار البريطاني في العراق، وعدن والبحرين، وانتفاضة الاردن ضد الضباط الانجليز، وتأميم شركة قناة السويس وفشل العدوان الثلاثي على مصر، وتحطم الاستعمار القديم على صخرة المقاومة الشعبية، في مدينة بورسعيد، وقيام أول وحدة للعرب في العصر الحديث، التي كانت بداية الرد الجدي على اغتصاب فلسطين.

يا أبناء أمتنا المجاهدة

لقد كان تحليل الحزب قبل ثلاثين عاماً للصعوبات التي تعترض تحقيق الوحدة العربية من الداخل والخارج تحليلاً علمياً اثبتت التجارب صحته وقد خرج ذلك التحليل بالنتيجة الاتية بان الوحدة تحتاج الى نضال خاص بها، والى تثقيف وتنظيم

خاصين بها ايضا، وان التطور لايسير لمصلحة الوحدة وان النضال الوجدوي هو مغالبة للتيار، وعمل ثوري بل اكثر الاعمال ثورية، وانه يحتاج الى حركة ثورية تضطلع به، وتنقطع له، وأعتبر الحزب ان تلك مهمته، ان الوحدة هي الحقيقة العلمية الوحيدة في الحياة العربية، لان فيها الانقاذ من أخطار الابداء والاستعباد والالحاق والحياة الهامشية، كما ان فيها أمكانية الانطلاق والتقدم وبناء القوة الحضارية القادرة على الصمود أمام القوى الطامعة في أرضنا وفي ثروات وطننا.

ان الوحدة تعني الاقتراب من الواقع العربي الحي، واقع الاقطار، وواقع الشعب في كل قطر، اقتراباً صادقاً ومنفتحاً، فالتغلب على الخلافات العربية لا يتم الا عن طريق المزيد من الاتصال والاطلاع والاقناع.

فالخصوصيات القطرية واقع لايمكن ولايجوز تجاهله والقفز من فوقه، والاقتراب من الشعب، يعني سماع صوته ورأيه، بل آرائه المختلفة باختلاف فئاته ومستوياته والانفتاح عليها بحب واحترام، وعندما ننتقل من الثقة بالشعب وبالانسان العربي نكون قد لامسنا ينبوع الخير والعطاء والابداع عند كل مواطن ونقلنا العمل الوطني والعمل القومي الى المستوى التاريخي.

والوحدة العربية هي ايضا وبخاصة وحدة التجربة الثورية النضالية اوبالاحرى توحيدها على مستوى الوطن العربي كله، ليس التوحيد المفروض فرضاً وانما الحاصل من المشاركة والحوار والتفاعل ومن الافادة من التجارب الثورية العربية المتعددة المختلفة بنجاحها وأخفاقها، بل الافادة ايضا من التجارب الثورية العالمية ونواحي القوة والضعف فيها.

ان توحيد التجربة العربية الثورية، لا بد ان يوصل الى بعض الحقائق والنتائج، فالديمقراطية أصبحت مطلباً بديهياً وضرورة حيوية للمخرج من المأزق التاريخي مأزق العجز العربي، والتجزئة والانقسام والخصومات الحادة، فعودة الجماهير الى ساحة النضال، وتساند النضال الجماهيري من فوق الحدود والحواجز القطرية هو الكفيل بعودة العافية الى الجسم العربي المريض وبأيقاف التدهور، ووضع حد لغطرسة الاعداء وأطماعهم التوسعية.

يا جماهير أمتنا المجاهدة

ان العرب يقفون اليوم أمام واقع مرّ قاس لا هم قادرون على مواجهته، ولا هم بمستطيعون تجاهله وتجاوزه، فالغزو الاسرائيلي للبنان، والعدوان الايراني على العراق ينهيان مرحلة ويبدأآن مرحلة جديدة في حياة الشعب العربي في مختلف أقطاره، صحيح ان هذين الحدثين اللذين كشفنا تناقضات الاوضاع العربية وعجزها، ليسا منقطعي الصلة بتاريخ السنوات التي سبقتها، فمنذ ان بدأ السادات سياسة المصالحة مع العدو الصهيوني، وأخرج بذلك مصر، بكل وزنها من ساحة المواجهة أختلت الموازين، وتفشى الضعف والشذوذ، وقد بادر العراق اذ ذاك الى الدعوة الى قمة بغداد، لوقف التداعي، ولكن كان المطلوب ان يواجه الارتداد بالتقدم الى امام، فلا يُكتفى بالاجماع او شبه الاجماع على السير في السياسة الراضية للصلح مع العدو بل يكمل ذلك بعمل عربي ايجابي مستمر ومنتام، لخلق القوة العربية الموحدة التي تعوّض الغياب الوتقي لمصر، من جهة، وتعمل على أختصار هذا الغياب من جهة اخرى.

وقد ظهرت بداية واعدة للعمل العربي الايجابي الذي لا يقتصر على الرفض، بل يحمل في ثناياه إمكانات بناءة وخلاقة نعني به ألتقاء العراق وسورية على ميثاق عمل قومي للتضامن والتعاون، قابل ان يتطور الى صيغة وحدوية بين القطرين الشقيقين ولكن هذا المشروع مالبث ان تلاشى لان النظام الذي ذهب الى حد التنكر للرابطة القومية والتحالف مع ايران، لم يكن خالص النية، بل كان يضمّر التآمر منذ ذلك الحين، وكل ما صدر عنه بعد فشل الميثاق، يفسر لماذا كان يضمّر التآمر عليه اذ فقدت مقررات قمة بغداد بفشل الميثاق مفعولها الرادع، وكانت نتيجة ذلك استمرار السادات في سياسة المصالحة مع العدو، وعزل مصر عن الامة العربية، وفي غياب السياسة القومية، وقف كل قطر عربي وحيداً امام الاعداء، كما وقفت جماهير كل قطر وحيدة عزلاء امام حكامها لاتجروء على الحركة لانها لاتأمل باي تأييد او تضامن نضالي يأتيها من الجماهير العربية في الاقطار الاخرى.

وسيظل العرب يدفعون الثمن الباهظ لاستهتارهم بفكرة الوحدة، وبأهمية

العمل الوجودي، حتى يصلوا عبر التجارب المريرة، الى الاقتناع بحقيقتين متلازمتين، الاولى، ان الوحدة، وكل خطوة على طريقها، وكل شيء يقرب منها ليست ترفاً وشيئاً كمالياً، يمكن تأجيله والاستغناء عنه، بل هي ضرورة حيوية بدونها سيفقدون أقطارهم الواحد تلو الآخر، وأستقلالهم وسيادتهم على مقدراتهم ويصبحون أتباعاً لقوى أجنبية مهيمنة، في مقدمتها «اسرائيل».

والحقيقة الثانية، أن الوحدة هي عمل شعبي نضالي تصنعه الجماهير العربية الواعية المنظمة، وان العمل الوجودي هو العمل الثوري الوحيد في الحياة العربية الحديثة، وكل الامور الاخرى، لاتعدو كونها في أحسن الاحتمالات أعمالاً أصلحية لاتكتسب ثورتها الا من خلال ارتباطها الجدي بالعمل الوجودي.

غاب العمل الوجودي، فغرق لبنان في الدماء والدمار في حرب أهلية دامت سبع سنوات وأنشغل معظم أقطار المغرب العربي المدة نفسها، في خلاف على الصحراء الغربية، أستنزف كثيراً من الجهد والدم، وتجرت ايران على العراق، وعلى القومية العربية بعامة وطمعت في فرض وصايتها على الامة العربية وان تكون البديل في حمل رسالتها، وتحالف النظامان السوري والليبي مع ايران ضد العراق، كل هذه الامور والتصرفات الشاذة من الصعب جدا ان نتصور امكانية حدوثها او حدوث شيء منها في حالة توافر حد معقول من العمل الوجودي، ولو ان بعض هذه الممارسات الشاذة كان حدث في الماضي لثارت الجماهير العربية، وأستنكرت وفرضت رأيها مستندة في تحركها وثورتها الى وحدة النضال العربي وما يوفره لها من حماية.

ان عودة مصر العروبة والتحرر، غير المثقلة بقيود معاهدة كامب ديفيد المشؤومة، هي أمنية غالية، وهي جديرة بأهتمام جميع أبناء الامة العربية، وبأن تتحول الى مشروع نضال يومي. ان الشعب العربي في مصر يتقدم بنضاله على طريقها، ولا بد ان تحشد الجماهير العربية وقواها المناضلة وبخاصة مثقفها كل الجهود لدعم تلك الخطوات وتصعيدها وضمائها من أية أنتكاسة.

فكثيرون هم الذين يتجاهلون البعد النضالي لهذه العودة ويتحدثون عنها وكأنها

قد أصبحت متحققة مع انها في بداية الطريق ، ان شروطا كثيرة أصبحت مواتية لهذه العودة بعد سقوط رمز تلك السياسة المجرمة التي أبعدت مصر عن امتها العربية ، ومن واجب جميع المخلصين من أبناء الامة ان يعثوا جهودهم لتسهيل هذه العودة ، واذا كان الحذر مطلوباً حتى لانغرق في التفاؤل السطحي ، فان الحذر مطلوب أكثر حتى لا تكون الشعارات التحررية اللفظية أداة للعرقلة وللتفريط بعودة أكبر قطر عربي الى مكانه الطبيعي ، ولايجوز ان تضيع مصر من أيدي العرب ، مرة اخرى ، وأن نتجاهل ما خططه الاعداء وكيف يستغلون حرمان الامة من وزن مصر للامعان في أضعاف هذه الامة وتشتيت نضالها ، وتمزيق أقطارها وتصفية قضية فلسطين .

أيها المناضلون العرب

يا جماهير أمتنا المجاهدة

ان بقاء قضية فلسطين مطروحة بكل ثورتها وكامل حقها في ازالة الاغتصاب وأسترجاع الارض انما هو تعبير عن إرادة الثورة في الامة العربية وأجيالها الصاعدة وجماهيرها المحرومة المناضلة ، كما هو باعث للثورة في كل أرض عربية وجواب على المتقاعسين عن معركة فلسطين . ان كل مواطن عربي واع ، يدرك ويؤمن بأن أسترداد حريته وكرامته ذو صلة وثيقة بقضية فلسطين ، وبمعركة تحريرها ، كما يدرك ان الذين يسجنون الشعب ويمارسون القمع والقهر ضد المواطنين ، ويكرهون الحرية ويحقدون على الاحرار ، هم الذين يستعجلون تصفية القضية الفلسطينية ، بأي شكل كان وبأي ثمن .

ان قضية فلسطين ، كما عرفها الحزب هي خلاصة للقضية العربية وهي روح الثورة العربية وقضية الامة المركزية ، هي نافذة الامة العربية على العالم والانسانية ، هي رسالة العرب الى العالم ، رسالة القيم الخالدة ، قيم الحق والعدل والاخاء والكرامة الانسانية ، هي الانتماء العربي الانساني الحديث من خلال الالم والمعاناة والثورة والنضال والحرية والتحرر باعمق معانيها ، هي الحق الذي يولد القوة ، هي العروبة مختصرة ، مطهرة ، هي الانسانية معذبة معرّبة ، هي وحدة العرب وحريرتهم ونهضتهم .

يا جماهير شعبنا الابي

ان المنابع التي أستقى منها البعث أصول تفكيره وجذور نشأته، وهوية نضاله، كانت تتلخص دوماً في أستلهام تراثنا الخالد، ومعاناة الامة النضالية وتطلعها الدائم نحو المستقبل، فقد اعطانا هذا التراث الروحي والحضاري العظيم قوة أنطلاق تاريخية، ومنحنا ثقة كبيرة بالنفس وأكسبنا أصالة، ووهبنا القدرة على مواجهة التحديات مهما تكن مصيرية.

ومن المعاناة النضالية الطويلة لامتنا تعلمنا كيف نثبت أمام المحن، وكيف نتصر على الالام، وكيف نصبر وكيف نجعل نضالنا بمستوى أهدافنا، وكيف نحفظ بروح الرسالة. وها هي ثمرة هذا النضال تتجلى من خلال الفضائل النادرة والخصال النبيلة والمناقب العالية، التي جسدها أبطال العراق في ملاحمهم الرائعة في جبهات القتال لصد العدوان عن وطنهم وثورتهم وأهداف أمتهم، وكذلك في حقول البناء والنهضة في كل جوانب حياة القطر، اي في تحويلهم العراق العظيم الى رمز للانبعاث القومي، وقائد لوحدة النضال العربي، ومسرح لتلاقي الماضي المجيد بالحاضر الناهض للامة، وعنوان الوحدة بين الاصالة والتجدد، وبين القيادة والجماهير. ان نضال البعث في العراق قد تميز، كما تميز تاريخ العراق على الدوام، بالعتاء السخي، وبالمستوى البطولي وبالعبقرية الحضارية.

فالشهداء الابطال الذين رسموا مسيرة هذا التاريخ المجيد، والمناضلون الذين شقوا الدروب الصعبة وواجهوا التحديات الضخمة، وتحملوا المسؤوليات وجميع أبناء الشعب، العامل المنتج والفلاح الكادح والجندي المقاتل والمربي والفنان المبدع والشاعر الملهم والعالم والمرأة المكافحة، قد ساهموا في تشييد هذا البناء الجديد للعراق، وكان لهم الفضل في تحقيق هذا المستوى المتميز من البنية الثورية في عراق البعث.

ولكن الفضل المتميز، الفضل الجامع والموحد للفضائل قد تبلور في الدور التاريخي البطولي المبدع الذي أستطاع من خلاله الرفيق القائد صدام حسين ان ينقل العراق والبعث في العراق الى مستوى الانجاز التاريخي.

فقد تجمعت في شخص الرفيق صدام حسين شروط القيادة النادرة، التي أستطاعت في ظل أحلك الظروف القومية، ان تفتح نوافذ الضياء، والامل والثقة بمستقبل عظيم للعراق وللأمة العربية. فهو اليوم في عقل وضمير وقلب كل مناضل صادق على أرض الوطن العربي، لانه يجسد عظمة العراق والأمة.

شعب العراق العظيم وقيادته الفذة وجيشه البطل لم يجسدوا العظمة الحقيقية مثلما جسدوها في الاوقات الصعبة، التي كانت من الفترات الخالدة التي تصنع الشعوب وتصنع التاريخ.

تحية إجلال وإكبار لشهداء الأمة في قادسيته الجديدة وفي كل معاركها عبر العصور.

وتحية للجيش العراقي البطل وللجيش الشعبي الباسل، وللمتطوعين العرب الذين نالوا شرف إداء الواجب القومي المقدس.

وتحية لنضال عرب الأرض المحتلة وللمناضلين والمواطنين الفلسطينيين واللبنانيين المعتقلين في معسكرات العدو الصهيوني.

وتحية للبعثيين وحلفائهم الصامدين في السجون والمعتقلات.
عاش نضال حزب البعث العربي الاشتراكي وجماهير أمتنا المجيدة.
وعاشت ثورة ١٧ - ٣٠ تموز الخالدة.

وعاش نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل العودة وتقرير المصير بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية.